الأهرام

المصدر: المدينة
التاريخ: ٢٠ ربيع أول ١٤٤٢هـ

الأوضاع الحالية للعقيدة الدينية لدى

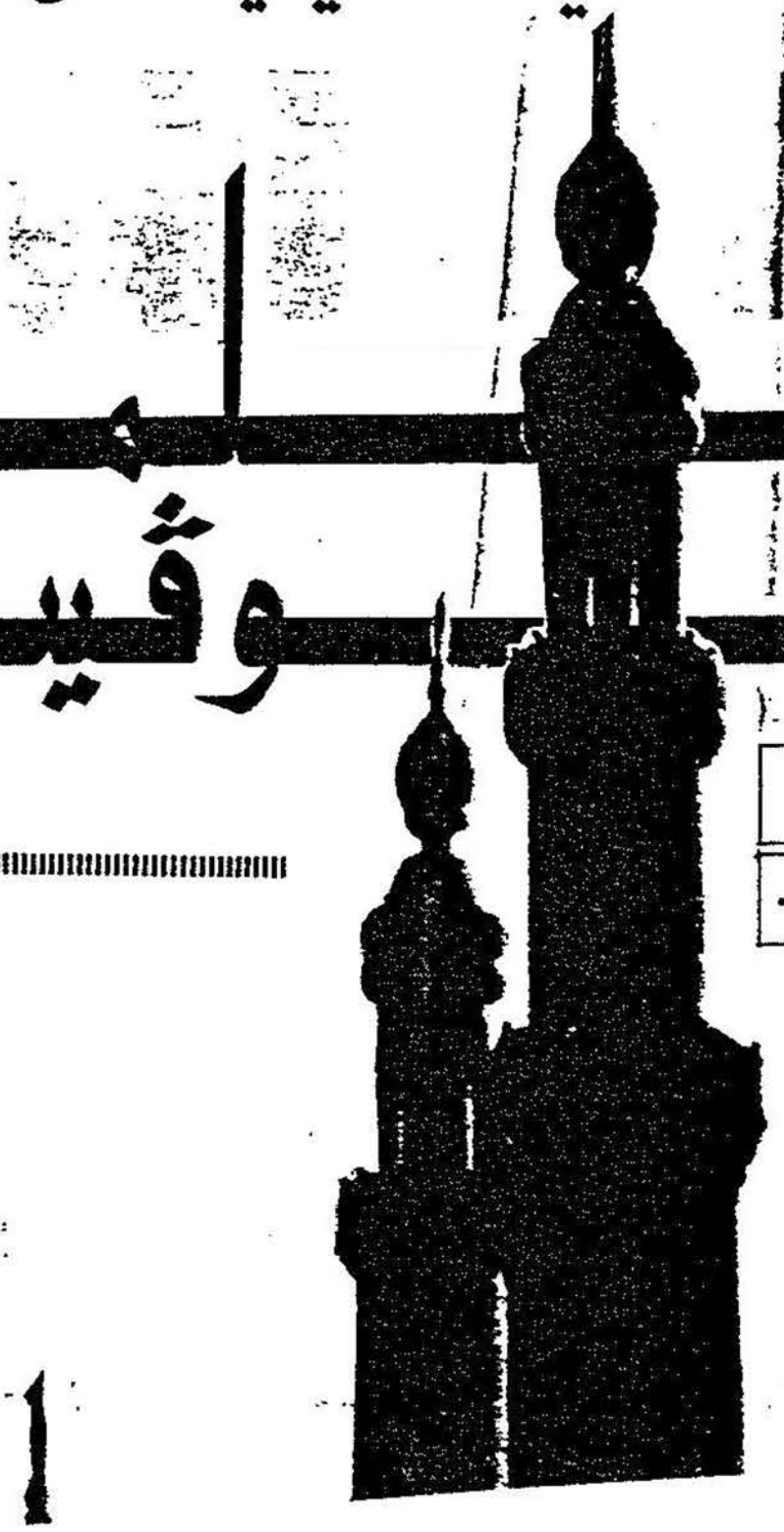

المسلمين السوفيت

الصحوة الاسلامية فى روسيا

الشيوعية حقيقة لاتقبل الجدال ..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

تنشر (المدينة) فيما يلى ترجمة لنص المقال الذى كتبه البروفسورالاكسندر بننجيسن استاذ التاريخ بجامعة شيكاغو ومدرسة الـدراسات العليا بكلية العلـوم الاجتماعية بجامعـة باريس تحت عنوان « الاوضاع الحالية للعقيدة الدينية لدى المسلمين السوفييت » ونشرته مجلة معهـد شئون الاقليات المسلمة التى تصدر باللغة الانجليزية عن جامعة الملك عبدالعزيز بجدة .

بقلـــم البروفسور الاكسندر بننجيسن

ترجمة معـاوية حسن يس

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

لم تكتشف السلطات السوفيتية ان الاسلام حى وقوى فى اوساط المسلمين السوفييت الا بعد سقوط خروتشيف الذى حاول - كما حاول سابقوه - تصفية جميع الاديان فى الاتحاد السوفيتى.. وحتى يتسنى لها فهم هذه الظاهرة التى لم تكن تتوقعها فقد قامت السلطات السوفيتية بعدة مسوحات اجتماعية فى السبعينات غطت اقاليم المسلمين فى اسيا الوسطى ومنطقة القوقاز .

وبدات نتائج هذه المسوحات تظهر فى منتصف السبعينات وما تزال تنشر من وقت لآخر حتى اليوم . ويبدو انها لاتنشر كجزء من الحملات السوفيتية الداعية لهدم الاديان وانما تنشر باعتبارها دراسات اكاديمية نسبيا ، وهى بذلك للاستهلاك المحلى وليس للتصدير الخارجى . وبذلك تكون فى ايدينا معلومات ثرية بكل اللغات الروسية وخاصة تلك التى يتحدثها المسلمون السوفييت . ولاول مرة منذ قيام الثورة الشيوعية يصبح فى مقدورنا ان نتفهم حقيقة اوضاع الاسلام فى الاتحاد السوفيتى على درجة كبيرة من الدقة .

ويمكننا ان نضيف الى جانب هذا المصدر الاساسى الاتصالات

الوضع السائد

ان الصورة المستقاة من هذه المصادر تدلنا -على صحوة اسلامية متعددة الوجوه لم يكن احد يتوقع وجودها . وبسببها ، وبدلا من ان يردد السوفييت مزاعمهم بان الدين شىء رجعى وان المؤمنين اناس تقليديون اصبحوا يقسمون السكان المسلمين الى خمسة اقسام :-

١ - مسلمون خالصو العقيدة ، ويسمونهم احيانا « بالمتعصبين » واحيانا « بالرجعيين »! ويمثلون حوالى ٢٠٪ من مجموع السكان ، وتعيش غلبيتهم فى القوقاز وهنالك مجموعات متفرقة منهم فى آسيا الوسطى وهم مسلمون مؤمنون حريصون على التصدى كل ما من شانه النيل من اسلامهم ربما لهذا يصفهم السوفييت بانهم عدوانيو النزعة .

٢ - مسلمون تقليديون ، ومع انهم حريصون على عقيدتهم الا انهم يختلفون عن المجموعة السابقة فى انهم ليسوا بعدوانيين . ويمثلون حوالى ١٥ ٪ من المجموع الكلى للسكان السوفييت .

٣ - المترددون ؛ اى الذين ليسوا بمؤمنين وليسوا بكافرين ، وهم يحترمون العادات والتقاليد والأعراف - ويمثلون ١٥٪ من مجموع السكان .

٤ - غير المؤمنين ؛ وهم غير المبالين بفكرة وجود الله ولكنهم يؤدون بعض الشعائر الدينية رضوخا منهم لسلطان البيئة الاجتماعية والعائلية ، وهم حوالى ٣٠٪ من مجموع السكان .

٥ - الملاحدة ، ويمثلون حوالى ٢٠ ٪ من مجموع السكان .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

لماذا امتنع الجنود المسلمون عن محاربة المسلمين الافغان ؟

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ومما تجدر ملاحظته ان نسبة الملاحدة فى روسيا تبلغ ٨٠٪ فى مقابل ٢٠٪ هم المؤمنون . ولكن نتائج المسوحات التى اجراها السوفييت تثبت عدم وجود (ملاحدة) فى اوساط المسلمين السوفييت . وتمارس الاغلبية العظمىٰ منهم مراقبة تعاليم الاسلام المتعلقة بالختان والزواج ودفن الموتى – ويستوى فى ذلك كبار اعضاء الحزب والمتخصصين فى شئن المحملات المعادية للاديان .

وعادة ما ينبذ المسلمون من مجتمعهم من يظهر الحاده ، ويتهمونه بانه اصبح « روسيا ». ويقول احد امثالهم « من لم يختن نفسه فهو ليس ازبكيا .. والازبكى يجب ان يكون مسلما – ويبدو ان الأزبكى هى الصفة التى تطلق على قبائل آسيا الوسطى .

وتكشف المصادر السوفيتية ان الآونة الاخيرة شهدت ظهور اتجاه وسط المسلمين السوفييت للعودة الى الاسلام « الاصيل الطاهر الحيوى ».. وهو اتجاه يمكن مقارنته بالاتجاهات المماثلة له فى كل الدول الاسلامية ولكنه يتخذ بعدا جديدا من كونه يظهر على هيئة حركة قومية تولد فى ظل ظروف سوفيتية ، وليس تحت نفوذ اجنبى او نحو ذلك .

اسباب الصحوة الاسلامية

تلك اذن هى الصورة العامة للاسلام والمسلمين فى الاتحاد السوفيتى ولكن يثور سؤالان هامان : ماهى اسباب هذه الصحوة السياسية ؟

وماهى نتائجها السياسية او ما يمكن ان يترتب عليها سياسيا ؟

يعتقد المتخصصون السوفييت ان هنالك سببين وراء هذه الصحوة : –

١ – تخلف عقل الفرد (المسلم) بالمقابلة مع التطور الاجتماعى (وهذا هو التفسير الماركسى التقليدى للمسألة)

٢ – « الخلط » الذى يحدثه الاسلام فى مفهوم التفريق بين ماهية « الدينى » وماهية « القومى ».

واذا سلمنا بهذين السببين فان المعتقدات الدينية تصير مجرد تجسيد للمعرفة القومية الخالية من اى معنى روحى .. وبمقدورنا ان نضيف لهذين السببين اللذين توردهما النشرات الرسمية عدة اسباب اخرى : –

□ النفور العام من الماركسية اللنينية .

□ الاستكشاف المتواصل للثقافة القومية القديمة التى ترك الاسلام اثره ظاهرا عليها مع انها نشات قبل آلاف السنوات .

الأبطاء فى فتح الحدود وما يتضمنه ذلك من اتصالات مع العالم الاسلامى الخارجى .

وعلى كل ، فان جميع الاسباب المتقدمة لايمكن ان تعلل ظاهرة الصحوة الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى . وينبغى النظر فى السبب الحقيقى لصحوة الاسلام فى صورة الايمان العميق وتاصيل نهج الحياة.

والثقافة من منطلق « المؤسستين » الدينيتين : « الرسمية » و « الموازية » باعتبار ان الدولة السوفيتية

تحاول اعطاء وضع معين للاسلام حسب نواياها وغاياتها ، وباعتبار ان المسلمين السوفييت يمارسون عقيدتهم كما يمليها عليهم ايمانهم .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الاسلام الموازى ..

الاسلام الموازى ، او الوجه الآخر للاسلام فى روسيا ، وتسميه المصادر السوفيتية « بالاسلام الطائفى » هو المؤسسة التى تلفت الانتباه بشكل مؤثر حقا ، تجده مجسدا فى مجلس القرى واتحادات التجار المسلمين ومجالس كبار رجال القبائل والعشائر ورجال الطرق الصوفية . انها منظمات سرية ولكنها ليست سرية بمعنى انها تعمل من تحت الأرض تماما .

وتختلف الطرق الصوفية السوفيتية عن نظيراتها فى العالم الاسلامى التى يمكن وصفها بانها محافظة وتقليدية ومعتدلة ويمكن تشخيص الصوفية السوفيتية كما يلى :-

١ - انها محافظة ولكنها مجاهدة جهادا شرسا ، وتقف ضد التحديث وتعادى الشيوعية بصلابة . ولها تاريخ طويل فى « الحرب المقدسة » التى تخوضها ضد الروس منذ عهد الامام منصور (١٧٨٣ - ١٩٤٢ م)

٢ - الطرق الصوفية السوفيتية هى منظمات كبيرة . وتقدر مصادر سوفيتية عدد الخلايا الصوفية فى جمهورية شيشين وحدها بحوالى ١٥٠ الف خلية ، ومعلوم ان عدد سكان هذه الجمهورية السوفيتية يقل عن مليونى نسمة . وقد ظهرت مجموعات صوفية حديثة ، داخلت عملها السياسة ، وتتسم بتصعيد الجهاد فى فترة ما بعد الحرب الكونية ، ومنها القيس حاجى المتفرعة من الطريقة القادرية فى القوقاز والهيرى ايشانز فى الكرنميزية وهى متفرعة من الطريقة الياتسوية القديمة .

٣ - ان التنظيمات الصوفية السوفيتية تتمتع بقدر كبير من اللامركزية ، وقد نجحت الى حد كبير فى فرض نفسها على المؤسسات القبلية والعشائرية الموجودة والتى تسهم بعض الاسهام فى حمايتها . وتكون شوكة هذه التنظيمات قوية فى المناطق البدوية حيث ما تزال تعيش المؤسسات القبلية ومن هذه المناطق تركمنستان والكرنميزية وكازاخستان وشمال القوقاز ايضا .

٤ - تمثل الصوفية السوفيتية مزيجا فريدا من العقيدة المحافظة والتنظيم الحديث ، ومن ذلك استغلال اجهزة الترانزستور والكاسيت وقبول افتاء العالمات من النساء المسلمات ، واستغلال الارهابيين الحضريين والبدويين (اذا اردنا تصديق التقارير السوفيتية الرسمية)

٥ - على الرغم من ان دعوتهم للجهاد الشامل يعتريها جانب من اللبس والفوضى الا انها دعوة قوية لبناء عالم يسوده الايمان ، ويدخل ضمن ذلك طرد الكفرة الروس .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وقد فشلت محاولات السلطة السوفيتية لاستعداء الاسلام (الرسمى) على (الموازى) فكلا الطائفتين تنتميان الى الاسلام الحقيقى ، وربما تضيع جهود الصوفيين هدرا فى غياب دور الافتاء التى تعرضنا لها سابقا .. وستصبح مؤسسات الاسلام (الرسمى) كجسد بلا راس فى غياب الدعم الذى تجده من مؤسسات الاسلام « الموازى »

اعتقد ان الصحوة التى يعيشها المسلمون السوفيت لاتزال فى بدايتها ، ويصبح بذلك من السابق لأوانه ان نحاول التعرض لنتائجها السياسية . ولكن هناك بعض التوجيهات المنظورة التى يمكن تلخيصها فى النقاط التالية

١ – هناك احساس متعاظم فى اوساط المثقفين والمواطنين العاديين بالانتماء لامة المؤمنين

وذلك يعنى . احساسا متعاظما ايضا بالحاجة الملحة للتضامن مع العالم الاسلامى الخارجى ومن ذلك مثلا رفض جنود آسيا الوسطى فى الجيش السوفيتى الذين رفضوا قتال اخوانهم مسلمى افغانستان . وكذلك يلاحظ قبول هؤلاء المسلمين واستجابتهم بسرعة للأفكار والبرامج التى تاتى من الدول الاسلامية (وبخاصة من ايران وافغانستان)

٢ – تتخذ المعرفة القومية لدى المسلمين السوفيت لونا دينيا طاغيا – وبمرور الايام ستظهر نتيجتان متعارضتان :

أ – احساس متزايد بالاخوة بين المسلمين السوفييت من مختلف القوميات الروسية .

ب – بروز عقبة كبيرة تحول دون التوافق مع الاخ الروسى القديم ..

٣ – ظهور اول احداث شغب يتسبب فيها المسلمون السوفيت . فقد ذكرت مصادر سوفيتية مؤخرا لأول مرة منذ الثلاثينات وجود ما اسمته « ارهابا دينيا » فى جمهورية شيشين وداغستان وكيرنميزيه – وقيام ما اسمته بجماعات قطاع الطرق الصوفية . وفى يناير ١٩٨١ استنكر الجنرال يوسف زيد رئيس المخابرات (كى جى بى) فى اذربيجان « النشاط الاجرامى للطائفيين المسلمين والوعاظ المسلمين الرجعيين » وهما التعبيران المستخدمان عادة لنبذ رجال الطرق الصوفية السوفيت .

٤ – تسهم مؤسسات الاسلام الرسمى فى انعاش الثقافة القومية لمختلف القوميات الاسلامية فى روسيا . وكناتج طبيعى لمجهوداتها فانها تصبغ الدين الاسلامى بحله جذابة ومتحررة والخلاقية وثقافية ، وبخاصة عندما يقارن بالماركسية اللينينية . كما ان قادة المؤسسة الاسلامية (الموازية) يجبرون بحكم وجودهم – قادة مؤسسات الاسلام الرسمى على الابتعاد .. ولو بقدر – يسير – عن الحكومة السوفيتية حين يبدو انهم خضعوا لها اكثر مما يلزم

ويعنى وجودهم تهديدا ضمنيا للمؤسسات الرسمية بان المؤمنين الحقيقيين سيتركونها وينتمون للمنظمات الصوفية اذا التصقت الأولى بالحكومة اكثر مما يجب .

كما ان وجود هذه المؤسسات يصعب حدوث اى اهانة للاسلام ، ويحافظ الاسلام الموازى على بقاء المناخ الشعوبى « الاكزينوفوبى » الذى يعطى المعرفة القومية لدى المسلمين طابعا مميزا فى صراعها ضد الروس .

خاتمة

فضلت السلطات السوفيتية ان تشجع مسلميها على الاتصال بالمسلمين فى البلاد الاخرى فى الستينات حين كان الاعتقاد السائد بان الدين الاسلامى كان يلفظ انفاسه الاخيرة . وفى مقابل ذلك فقد ساعد زعماء المؤسسات الاسلامية السوفيتية الرسمية فى تصوير روسيا على انها خير صديق للعالم الاسلامى :

ولكن اليوم ومع استحالة اخفاء الصحوة الاسلامية وانتقال عدوى الثورة الايرانية والافغانية الى اسيا الوسطى والقوقاز تجدنى اتساءل فى دهشة : هل يجبر هذا التطور المزدوج موسكو على جذب الستار الحديدى مرة اخرى ؟!

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية